مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 10 / العـــدد: 02 (2022)، ص:45 - 55

التَّوسع الكوني بين الإشارة القرآنية والحقيقة العلمية

The expansion of the universe between the Quranic reference and scientific truth

مريم براهيمي[1]

[1]جامعة الجزائر 1 خروبة- الجزائر

brahimi.meriem25@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/16 تاريخ القبول: 22 /2022/05 تاريخ النشر: 2022/06/01

الملـخص:

لقد أشار القرآن الكريم إمَّا تصريحا وإمَّا تلميحا، وإمَّا جملة وإمَّا تفصيلا إلى حقائق علمية كثيرة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، وقد أبدى العلماء من غير المسلمين دهشتهم واستغرابهم، واختلفت تعبيراتهم حين وجدوا أنَّ ما توصَّلوا إليه حديثا وبعد العديد من النظريات والبحوث قد ذكره القرآن قبل قرون مضت... وهذا هو الإعجاز العلمي أحد وجوه الإعجاز، وهو إخبار القرآن الكريم أو السُّنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النَّبي –صلى الله عليه وسلم- مما يُظهِر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى.

وهذا ما رأيناه في قوله تعالى: ﴿والسَّماء بنيناها بأيدٍ وإنَّا لَمُوسِعونْ﴾ (الذاريات49)، فقد أشار القرآن الكريم إلى ظاهرة التوسُّع الكوني ولم يثبتها العلم إلا حديثا.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، حقائق علمية، النظريات، الإعجاز العلمي، ظاهرة التوسع الكوني.

Abstract:

The Holy Qur'an has referred either explicitly or hintly, or in general or in detail to many scientific facts more than one

thousand and four hundred years ago. The Qur'an centuries ago … and this is the scientific miracles. One of aspects of miracles: the Qur'an, which is the telling of the Holy Qur'an or the Porphetic Sunnah of a fact that has been proven by empirical science, and it has been proven that it was not comprehended by human means at the time of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him.

His sincerity appeared in what he told about his lord Almighty.

This is what we have seen in the Almighty's saying: ﴿With power did We construct the heaven. Verily, We are Able to extend the vastness of space thereof﴾ (Al-Dhariyat: 47), the Holy Qur'an referred to the phenomenon of cosmic expansion, and science has only recently proven it.

Key Words:
The Noble Qur'an, scientific miracles, the phenomenonof cosmicexpansion.

المؤلف المرسل: مريم براهيمي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، حبيبنا محمد –صلى الله عليه وسلم- وعلى آله الطَّيبين الطَّاهرين.

لا يزال القرآن الكريم معنيا لا ينضب، ومادة ثرية للبحث والدّراسة، ومن هذه المواد التي يزخر بها النَّص القرآني "الحقائق العلمية" التي تحدَّث عنها قبل أربعة عشر قرن من الزّمن .

لقد أشار التنزيل الحكيم إلى العديد من الظَّواهر العجيبة في الكون، وقد ظنّها البعض فيما مضى أنها من المستحيلات... لكن مع تطور العلم، ووصول

الإنسان بنظرياته واكتشافاته إلى تفسير بعض هذه الحوادث من خلال أبحاثه ودراساته التي كانت بمثابة الدَّليل على إعجاز القرآن الكريم، والبرهان على عظمة الخالق –جل وعلا-

من هذه الظواهر التي أشار لها القرآن جملة لا تفصيلا، "ظاهرة التَّوسُّع الكوني"، حيث قال المولى –سبحانه- في محكم تنزيله: ﴿والسَّماء بنيناها بأيدٍ وإنَّا لَمُوسِعونْ﴾ (الذاريات49)، فهذه الآية العظيمة –وتماشيا مع ما أثبتته الدِّراسات العلمية اليوم- تعد من المعجزات القرآنية التي تدل على عالمية الرّسالة الإسلامية.

فكيف فسَّر السّلف الصالح هذه الآية؟ وما الحقيقة العلمية التي تضمنتها؟

للإجابة عن هذا تطرقت في بحثي إلى جملة من التفاسير القديمة منها والمعاصرة، وكيف فسَّر أصحابها هذه الآية الكريمة، ثم ذكرت ما توصل إليه العلم اليوم لأتحرى عن وجه الإعجاز فيها، وأثبت الحقيقة العلمية التي جاءت بها.

توسُّع السَّماء بين المفسرين القدماء والمعاصرين

قال تعالى: ﴿والسَّماءَ بنيناها بأيدٍ وَإنَّا لَمُوسعونْ﴾ (الذاريات 49).

﴿With power did We construct the heaven. Verily, We are Able to extend the vastness of space thereof﴾ (Al-Dhariyat: 47)

تبين لنا هذه الآية مرحلة من مراحل الخلق الكوني، وهي مرحلة التَّوسع والتَّمدد (وإن هذا التَّوسع وذاك التَّمدد لم يسر عبر مسالك مستوعرة، وطرق وساحات قد ازدحمت بالفوضى والاضطراب... ليست الحالة كذلك، بل كما عبَّر القرآن الكريم ﴿بنيناها﴾ والبناء يقتضي هندسة دقيقة، ويستلزم تصميما تشيع

بين جنباته الرتابة المتألقة)* (وحيد شعبان، الظواهر الكونية في القرآن الكريم، ج2، ص123).

جاء في كتاب "الطبري" حول تفسير هذه الآية: (والسَّماء رفعناها سقفا بقوة... وقوله ﴿وإنَّا لَمُوسِعونْ﴾ يقول: لذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقه...

ومنه قوله ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ (البقرة 236)، يراد به "القوي")† (أبو جعفر الطبري (ت310)، جامع البيان في تأويل القرآن، ج22، ص440).

ونفس التَّفسير نجده عند "الزَّمخشري" إذ يقول: (بأيد: بقوة، والأيدي والآد: القوة، وقد آد، يئيد وهو أيد ﴿وإنَّا لَمُوسعون﴾ لقادرون، من الوسع وهو الطاقة، والموسع: القوي على الإنفاق)‡ (الزَّمخشري، الكشاف، ج4، ص404).

ويقول "البيضاوي" في "أنوار التنزيل": (﴿وإنَّا لَمُوسعون﴾: أي لقادرون، من الوسع، بمعنى الطاقة والموسع: القادر على الإنفاق، أو لموسعون السماء، أو ما بينها و بين الأرض، أو الرزق)§ (البيضاوي (ت685ه)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5، ص150).

ونفس المعنى نجده في تفسير "فتح القدير": (﴿وإنَّا لَمُوسعون﴾: الموسع: ذو الوسع والسعة، والمعنى: إنا لذو سعة يخلقها وخلق غيرها، لا نعجز عن ذلك، وقيل

---

* مروان وحيد شعبان، الظواهر الكونية في القرآن الكريم، سلسلة إعجاز القرآن الكريم، دار الإعجاز، طرابلس، لبنان، ط2، 1432ه.

† محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه

‡ الزمخشري، الكشاف.

§ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد شيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418.

"لقادرون" من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة، وقيل: إنا لموسعون، الرزق بالمطر)[*] (الشوكاني (ت1225م)، فتح القدير،ج5، ص109).

ويزيد "الطاهر بن عاشور" –وهو من المعاصرين- كلاما حول تفسير هذه الآية قائلا: (وتقديم السماء على عامله للاهتمام به ثم بسلوك طريقة الاشتغال زاد تقوية، ليتعلق المفعول بفعله مرتين: مرة بنفسه ومرة بضميره، فإن الاشتغال في قوة تكرر جملة، وزيد تأكيده بالتذييل بقوله: ﴿وإنَّا لَمُوسعون﴾ والواو اعتراضية. والموسع: اسم فاعل من أوسع، إذا كان ذا وسع أي قدرة، وتصاريفه جائية من السعة، وهي امتداد مساحة المكان ضد الضيق)[†] (الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج27، ص16).

ويقول "سيد قطب" عن التعقيب الذي جاء في هذه الآية، أي في قوله تعالى: (﴿وَإِنَّا لَمُوسِعونْ﴾ (والسِّعة كذلك ظاهرة، فهذه النُّجوم ذات الأحجام الهائلة، والتي تُعَّد بالملايين لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرَّحب)[‡] الرَّحب)[‡] (سيّد قطب، في ظلال القرآن،ج6، ص3385).

ونجد من المفسرين المعاصرين أيضا من تحدث عن ظاهرة الاتّساع بوضوح أكثر وذلك استنادا للاكتشافات العلمية الحديثة الدقيقة –وهذا طبعا لا يلغي بتاتا ما جاء في التفاسير القديمة وما فهمه سلفنا الصالح بل هم من وضع اللَّبنات الأولى لهذا العلم- فيرى "الزنداني" -رحمه الله- أن هذه الساعة ليست ثابتة، بل هي في توسُّع وتمدُّد[*] (الزنداني، ج3، ص68). ونجد هذا القول أيضا في كتاب "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم": (هذه السَّموات تتسع باستمرار فليست جامدة

[*] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

[†] محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشورالتونسي، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

[‡] سيد قطب ابراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412هـ.

ولا ثابتة، حيث انجلى ذلك واضحا للعلم الحديث الذي تحقق منها بأساليبه المتطورة، ولا تزال البحوث والدراسات مهتمة بمزيد من الأدلة والبراهين على ذلك)[†] (الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص30).

وأيضا ما أوردناه سابقا في تفسير "البيضاوي" حيث قال: (أو لموسعون السماء أو بينها او بين الأرض) (البيضاوي، ج5، ص150) فأشار البيضاوي – رحمه الله- هنا إلى أن قوله تعالى: (﴿وإنَّا لَمُوسِعونْ﴾ تعني توسيع السَّماء، أو توسيع ما بين السَّماء والأرض.

وهنا تتجلى بلاغة القرآن الكريم، وإعجاز نظمه ورفعة بيانه في انتقاء اللَّفظ المناسب "موسعون" ولابد لنا ان نشير إلى أنه وقبل الاكتشافات العلمية وقبل توفر وتطور آلات التّلسكوب وغيرها من الآلات الدقيقة فإن بعض علماء التفسير والعقيدة قد أدركوا حقيقة إمكانية توسُّع الكون – حتى وإن لم يكن لهم دليل علمي- ومن ذلك ما جاء في إحدى أطروحات "أبي حامد الغزالي" في كتابه "تهافت الفلاسفة" اذ طرح سؤالا قائلا: (هل كان الله قادرا على أن يخلق العالم أكبر مما هو عليه؟ فإن أجيب بالنفي فهو تعجيز لله، وإن أجيب بالاثبات ففيه اعتراف بوجود خلاء خارج العالم كان يمكن أن تقع فيه الزيادة لو أراد الله أن يزيد في حجم العالم عمَّا هو عليه)[‡] (الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص104)

ومعنى هذا أنه على الرغم من عدم توافر المعلومات التفصيلية عن فيزياء الكون والقوى العاملة فيه فإن العلماء المسلمين حين استندوا إلى أصول العقيدة الإسلامية المستنبطة بشكل صحيح من القرآن، فإنهم توصّلوا إلى فهم مسائل

---

[*] الزنداني، كتاب التوحيد، منشورات دحلب، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1992م.

[†] السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، دار الوسام، بيروت، لبنان، ط2، 1992، ص30.

[‡] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تهافت الفلاسفة، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط6.

عويصة منها مسألة توسُّع الكون، التي هي قضية مستحدثة في الاستنباط العلمي في القرن العشرين الميلادي.

ففي عام 1929 أعلن عالم الفلك الأمريكي المشهور "هابل" أن المجرات تتباعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات، وتخضع لعلاقة طردية مباشرة بين المسافة والزحزحة الطيفية نحو اللون الأحمر، واستنتج وفقا "لظاهرة دوبلر"[*] أن الكون يتمدد، ولقد تمكن "هابل" في عام 1930م من إيجاد هذه العلاقة وسميت باسمه، وهي تنص على أن سرعة ابتعاد المجرات الخارجية تتناسب طرديا مع بعدها عنا، وتفسير "قانون هابل" هو أن الأجرام السماوية في الكون تبتعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات، أي أن الكون في حالة تمدد أين ما كان موقعنا في الكون[†] الكون[†] (أحمد متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ص16).

توسع الكون: كيف للكون أن يتوسع بأسرع من سرعة الضوء؟ -أنا أصدق العلم-

صورة تبين التوسع الكوني

[*] ظاهرة دوبلر: اكتشفها العالم الفيزيائي النمساوي "كريستيان دوبلر" عام 1842م، فقد قام بتعريض الضوء لمنشور زجاجي فتحلل الضوء الأبيض عند اختراقه هذا المنشور الزجاجي إلى أطياف سبعة (الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي) وإذا تحرك مصدر الضوء متباعدا عن المشاهد تنحاز هذه الحزمة متماثلة الأطياف السبعة، وإذا كان مصدر الضوء يتحرك إلينا تنحاز هذه الحزمة إلى الطيف الأزرق البنفسجي لأنه أطول الأطياف/ نقلا عن: زغلول النجار، كتاب آيات الإعجاز في القرآن الكريم.

[†] أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1435هـ.

فحركة ابتعاد المجرَّات ناتجة عن توسُّع الفضاء نفسه، حيث تنساق معه المجرَّات كلها، وبصورة عامة فإن المجرَّات وتجمعات المجرَّات وتكدسات المجرَّات، هي أشبه ما تكون بكتل غازية هائلة من الدُّخان ما تزال تتوسع وتنتشر، ويتوسع معها الكون... وقد أشارت الموسوعة الفضائية إلى هذه الظاهرة، واتفق الفلكيون في النّصف الثاني من القرن العشرين على حقيقة توسع الكون، وأُسقطت فرضية أزلية الكون وقدمه، وثبت علميا أنَّ للكون بداية ونهاية* (طنطاوي، مجلة البيان، 2011).

وبالفعل –وكما أسلفنا الذكر- فإن الحقائق العلمية تثبت أن الكون ليس ثابتا وإنما هو في تحرك وتوسع مستمر، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (﴿وإنَّا لَمُوسِعونْ﴾ هذه الآية العظيمة التي نزلت على نبي أمي..نزلت في عصر لم تتوفر فيه وسائل بشرية تثبت ما توصل اليه العلم اليوم لكن عبر عنها القرآن الكريم بأعجز تركيبة لفظية بسيطة في صورتها الدلالية العميقة "موسعون" ..فحرف الميم في أول الكلمة يجعلها متعدية، فلو كان المعنى "قادرون" –كما جاء في تفاسير السابقين- لقال "وإنا لواسعون". ولو كان المقصود هو أنها واسعة فقط لقال مثلا "جعلناها واسعة" بفعل ما، ولكن اسم الفاعل هنا "موسعون" يحمل معنى الحال والاستقبال* (خالد بن عميور، الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم، ص88) أي أنها في توسع مستمر (وعندما كان اسم الفاعل مشبها للفعل المضارع –لفظا ومعنى- أما من حيث اللفظ فيشبهه في تتبع حركاته وسكناته، وأما من حيث المعنى فيشبهه في دلالته على الحال والاستقبال، عندما كان هذا الشبه بينهما، وكان الفعل المضارع دالا على التجدد والحدوث... كان لابد أن يدل اسم الفاعل على شيئ من دلالة الفعل المضارع، فكانت دلالة اسم الفاعل على التجدد

* السيد طنطاوي، العلماء والمفسرون وتوسُّع الكون (مقال)، مجلة البيان، أفريل 2011م.

والحدوث، وبهذه الدلالة تميز اسم الفاعل عن الصفة المشبهة، وكذلك فإن دلالته على الثبوت ميزته عن الفعل المضارع، فاسم الفاعل يقع وسطا بين الفعل والصفة المشبّهة فهو أدوم وأثبت من الفعل)[†] (آمنة عامر،اسم الفاعل في سورة الحج (مقال)، ص105).

فوجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو دلالة لفظ "موسعون" الذي يفيد الماضي والحال والاستقبال، على أن الكون في حالة توسع مستمر وهذا ما كشفت عنه المشاهدات الفلكية للعالم "هابل" عام 1929م.

فهذه الدقة العظيمة في اختيار اللفظ المناسب ليدل على المعنى المعجز لا نجدها في غير كلام الله –عز وجل- فهو يحمل نكتا دقيقة ولطائف خفية تجعله ميدانا لفرسان التفسير والبلاغة والبحث، يجولون فيه ويصولون، ليستخرجوا كنوزه البيانية والعلمية.. ولهذا ورغم التقدم العلمي والبحوث المعاصرة الجديدة التي أعطت للآية فهوما جديدة، مرتكزة على الأبحاث والوسائل العلمية الدقيقة، فإننا طبعا لا نلغي بتاتا تفاسير السابقين، وفهومهم للآية الكريمة، فكما جاء في التنزيل الحكيم: ﴿لكل نبإٍ مستقرٌّ وسوف تَعلَمُون﴾ (الأنعام 67)، وقد ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه)[*] (السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص180).

أهم التوصيات:

*على علماء الأمة الإسلامية، البحث في آيات الإعجاز للوصول إلى الحقائق الكونية، فلا ننتظر حتى يتوصل إليها الغرب، لنقول أنها موجودة في كتابنا الكريم.

---

[*] خالد بن عميور، الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة الجزائر.

[†] آمنة عامر عمر الترهوني، اسم الفاعل في سورة الحجّ –دراسة صرفية دلالية- (مقال) مجلة كليات التربية، العدد22، يوليو 2021.

*جمع التراث الإعجازي في موسوعة علمية متخصصة.

*عقد ندوات وملتقيات تهتم بالإعجاز العلمي.

انشاء مراكز وأكادميات وهيئات تعزز البحوث العلمية في الوطن العربي الإسلامي، وتجمع بين ما جاء في القرآن والسنة، وبين المحصول العلمي.

الاهتمام بالقضايا العلمية المتجددة في هذا المجال.

الخلاصة:

تشير الآية القرآنية الكريمة ﴿والسَّماءَ بنيناها بأيدٍ وَإِنَّا لَمُوسعونْ﴾ (الذاريات 49)، إلى أن الكون في حالة توسع دائم، ودليل هذا لفظة "موسعون" فهو اسم فاعل بصيغة الجمع لفعل "أوسع" الذي يفيد الاستمرارية، ومع أن القرآن الكريم لم يُبيّن تفاصيل هذه الظاهرة (الاتّساع الكوني) بل أوردها مجملة، إلا أن العلم قد أثبت مؤخرا ما نزل به الوحي الكريم على النبي الأمي محمد –صلى الله عليه وسلم- في زمن لم تتوفر فيه أدنى الوسائل العلمية التي قد تكشف عن هذه الظاهرة وتثبتها.

الخاتمة:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى –صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت 53)

لقد وعد المولى –عز وجل- عباده أن يريهم معجزاته الكونية والنَّفسية (الآفاق والأنفس) فجعل آياته في هذا الكون العظيم منذ خلقه، لكن من الحقائق التي لم تظهر إلا حينما تطور العلم، وجاء وقت الاكتشافات العلمية، فبدأت بوادر الإعجاز العلمي والكوني في الظهور، لتتضح لنا العديد من الحقائق التي أشار إليها

---

* عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1394هـ.

القرآن الكريم، قال –جل شأنه-: ﴿لكل نبإٍ مستقر وسوف تعلمون﴾ (الأنعام 67).

وقد رأينا في الآية الكريمة ﴿والسَّماءَ بنيناها بأيدٍ وَإِنَّا لَمُوسعونْ﴾ (الذريات 49) وجه الإعجاز فيها وما أدته لفظة "موسعون"، وما قاله المفسرون في الماضي وفي العصر الحديث، وما أدركه علماء العقيدة الإسلامية الصحيحة مثل "أبي حامد الغزالي" بإمكانية توسع الكون... وهذا حقا ما توصل إليه العلم في الآونة الأخيرة.